مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الأول
(ذو القعدة 1444هـ/ جوان 2023م)، ص 308– 321

الفكر المسرحي الجامعي من التبعية إلى تحرر الأنساق

University theatrical thought from dependence to the liberation of forms

د. سوسن ابرادشة Soucene Bradcha[1]

[1] جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

مخبر الترجمة والمصطلح، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية، قسم اللغة العربية وآدابها.

المؤلف المرسل: **د/ سوسن ابرادشة** الإيمايل:soucene.bradcha@univ-alger2.dz

تاريخ الارسال: 2022/10/19 تاريخ القبول: 28 /2023/05

الملخص:

يعتبر المسرح الجامعي أهم متنفس للطلبة الجامعيين المهتمين بالفن والإبداع المسرحي، على الرغم من أنه لم يحظ بالاهتمام والتقدير إلا أنّه عمل على عكس واقع الشباب الجامعي الذي تحرر من التبعية الفكرية والثقافية في طرحه لمواضيع مغايرة عن السابق، وخوضه تجارب جديدة تتماشى ومستجدات الحياة التي بات يعيشها.

بناءً على هذا؛ آثرنا البحث في الفرق المسرحية الجامعية لنقوم بدراسة موضوعاتية وفنية على إحدى نماذجها، وهو ما قادنا نحو فرقة "نادي الصقور" الممثلة عن المركز الجامعي تيبازة لإعطاء لمحة عن قضايا المسرح الجامعي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: النصوص المسرحية، التبعية الفكرية، النمطية، تحرر الأنساق، الإبداع.

Abstract:

University theater is the most important outlet for university students interested in theatrical art and creativity, although it did not receive attention and appreciation, but it worked in contrast to the reality of university youth, who were freed from intellectual and cultural dependence

in presenting topics different from the previous one, and entering new experiences in line with the developments of the life they are living.
We chose to research university theater groups to conduct a thematic and artistic study on one of their models, which led us to the "Falcons Club" troupe, represented by the University Center in Tipaza, to give an overview of the issues of university theater in Algeria.
Keywords: Theatrical texts, intellectual dependence, stereotypes, liberation of formats, creativity.

1. مقدمة:

أولى المسرح الجامعي اهتمامه بقضايا الطلبة الجامعيين وانشغالاتهم المتمركزة حول وضعيتهم داخل المؤسسة الجامعية، ولذلك اعتبره الكثير من النقاد صورة عاكسة لواقع الطالب الجامعي الذي راحت أحواله تختلف وتتفاوت من مشهد إلى آخر، بالرغم من أنَّ انطلاقته الفعلية ظلت وثيقة الصلة بالمسرح وبالنصوص المسرحية المتداولة، إذ أنَّ عدم توفر وإنتاجية نصوص محلية ـ ضمن إطار الجامعة ـ أدى إلى الاستعانة بالنصوص المستهلكة، لاسيما في ظل غياب التشجيع والاستثمار في أفكار الطلبة المبدعين، فانحصرت قضايا المسرح الجامعي بقضايا المجتمع الخارجي، وارتبطت موضوعاته بشكل مباشر بالوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يتعايش المواطن وإيّاه.

ثم عمدّ بعد ذلك إلى قولبة الأحداث وإعادة تشكيلها بالطريقة التي تناسب عقلية الطالب الجامعي، فحاول الابتعاد عن القضايا التي لا تُلهم المسرح الجامعي ولا تُثريه، إلى أن تحرر كليًا من النمطية وترك لموهبته المجال في أن تُفصحَ عن ميلادها الحقيقي، والذي تزامن ومرحلة ظهور مجموعة كبيرة من الفرق المسرحية الجامعية، حيث أصبحت النصوص المسرحية التي تندرج ضمن المسرح الجامعي من بين أكثر الإنتاجات الصادرة في المجلات والسلاسل والدوريات الثقافية التي يُشرف عليها الطلبة المهتمين بالفن المسرحي والإبداع.

وبنظرة بسيطة على مجموعة من النصوص المسرحية الجامعية لمجموعة من الفرق، نلحظُ التحرر الكلي للأنساق الثقافية والفكرية في إنتاجية وكتابة نصوص تتلاءم والراهن المعاش في الجامعة الجزائرية، وهو ما دفعنا للبحث في القضايا المطروحة في النصوص المسرحية الجامعية ليقودنا بحثنا نحو فرقة "نادي الصقور" الممثل عن المركز الجامعي عبد الله مرسلي بتيبازة، وبالتالي خوض دراسة وتحليل إحدى نصوصه المسرحية المقدمة لإعطاء لمحة عن قضايا المسرح الجامعي.

2. كرنولوجيا المسرح الجامعي: بين المتعة والفرجة وصناعة الوعي:

يضعنا الحديث عن المسرح الجامعي أمام ثنائية قديمة في وجودها مترسخة في تأثيراتها، وهي ثنائية التبعية والتحرر، إذ أكدت الأعمال المسرحية الجامعية المقدمة من طرف الممثلين الطلاب على نهوض أعمالهم بادئ الأمر تابعةً لِما يوجد خارج أسوار الجامعة، فقد كانت القضايا المتناولة في مواضيع أعمالهم تندرج ضمن ما يتقبله المجتمع بالشكل العام، وبما أنَّ هذا الأخير يتسم بقمعيته للفن المسرحي بصفة عامة، فإنَّ الأمر لم يدم طويلا خاصةً وأن المسرح يتموقع كممارسة حرة تكون أول أدوراه محاولة التخلص من الهيمنة والانصياع، والبحث عن الحرية المطلقة.

وبهذا ارتكزت تجربة المسرح الجامعي على خلفية التجربة المسرحية الحرة، فانبثق من المسرح الجامعي بقسنطينة مسرحًا شعبيًا يوازي ما كان منتشرًا آنذاك بالمسرح الجهوي لقسنطينة، وانبثق من المسرح الجامعي لوهران ـ وحتى مسارح الجامعات المجاورة ـ مسرح الحلقة والمداح والقوال والأغنية الشعبية، وهو ما مميزًّ المسرح الجهوي بغرب الجزائر في السابق، وأما فيما يخص المسرح الجامعي بالعاصمة ـ والذي يعدُّ أول مسرح جامعي أُسس في الجزائر ـ فقد اتكأ على مسرحيات مصطفى كاتب والذي كان يقود جلّ الأعمال المسرحية الملحمية الكبرى المترجمة وغيرها، حين كان مديرًا للمسرح الوطني الجزائري، ليساهم بعد ذلك في تأسيس وإنشاء مسرحٍ جامعيٍ مستقلٍ بذاته ولذاته، ولذلك نجد أنَّ الانطلاقة الفعلية التي ميزّت مسرح الجامعة بالعاصمة كانت من خلال إعادة عروض مسرحية عالمية شهيرة، وهي نفسها المسرحيات التي أعاد

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الأول
(ذو القعدة 1444هـ/ جوان 2023م)، ص 308– 321

إخراجها المخرج المسرحي مصطفى كاتب، مثل مسرحيات: "بيت برنارد ألبا، الكاهنة، أنشودة أنطولا، ليل العبيد، عنترة بن شداد، دون جوات، ومسرحية "سي قدور المشحاح" المستوحاة من مسرحية البخيل لموليير، وغيرها من المسرحيات الجزائرية التي كُتبت قبل الاستقلال والتي تحدثت في أغلبها عن الثورة وإرهاصاتها ومواضيعها، مثل: "مسرحية (مصرع الطغاة) لعبد الله الركيبي، والتي صورَّ فيها الكاتب النضال ضد المستعمر ومحاربة العملاء والخونة والحشد للثورة التحريرية الكبرى ودعمها، ومسرحية (أولاد القصبة) لعبد الحليم رايس والذي تناولت قضية العمل الفدائي، ومسرحية (التراب) لأبي العيد دودو والتي تعرضت إلى تفاصيل دقيقة عن الثورة وظروف انطلاقتها الفعلية، إضافةً إلى مسرحيات عدّة مثل: (الجثة المطوقة) لكاتب ياسين، و(احمرار الفجر) لآسيا جبار، (الريح) لمولود معمري"[1]، وكلها مسرحيات كُتبت قبل تأسيس المسرح الجامعي في الجزائر لتُعرضَ فيه بعد ذلك مباشرة بعد تأسيسه ونشأته.

وعمومًا، فإنَّ المواضيع المسرحية المعروضة آنذاك كانت تتحدث في أغلبها عن الوطن متخللة في ثناياها ثورته المجيدة، والتي أبَت إلا أن تطفو فوق كل عرض مسرحي يُقام، مستبعدة فكرة النظريات المسرحية وغير مبالية بقواعد المدارس المسرحية وقوانينها؛ بل كان أيضًا "مسرحا مقاوما في كل مراحله و شاهدا حقيقيا على كل الأزمنة الصعبة التي عاشتها الجزائر حسب الناقد الإعلامي بوزيان بن عاشور"[2]. لينتعش المسرح الجامعي بعد تأسيسه وانطلاقته التي ميزَّها تقليد المسارح الحرة والفرق الهاوية، ويؤكد على وجود هوية خاصة به، إذ راح يستلهم من الشعب ميزاته ومواضيعه وقضاياه، وذلك من خلال كثرة انتشار المنظمات الطلابية التي ساهمت في تحرير عقلية الطالب الجامعي من الباب الضيق إلى الأوسع، وإخراجه من دائرة محصورة، ليطلقَ العنان لمخيلته ويسمح لأفكاره بالخروج إلى النور حتى يتسنى له تمثيلها في الواقع.

ولعلَّ الأرشيف الوطني الموجود بالمكتبة المركزية لجامعة الجزائر 02 . أبو القاسم سعد الله ـ والذي عثرنا فيه على سيناريوهات لمسرحيات عديدة ومتنوعة، كُتبت وقُدمت من طرف طلبة المسارح الجامعية في سبعينات القرن الماضي، تؤكد بداية انتعاش المسرح الجامعي آنذاك، حيث قُدمت الكثير من المسرحيات

لمؤلفين عالميين كبار منهم: بريخت، غابر يال غارسيا ماركيز، لوركا، ومؤلفين جزائريين مثل: مُحَمَّد مرتاض، سعد الله ونوس، الطاهر وطار، أحمد منور...

فبعد التغيير الاجتماعي الذي شهدته الجزائر بعد الاستقلال وخاصة بداية التوجه نحو الاشتراكية الشيوعية، حمل الطلبة الجامعيون أفكار ورؤى إيديولوجية تناولت قضايا فلسفية وفكرية مختلفة ودافعوا عنها بكل الوسائل والسبل، وهو ما بدا واضحًا بعد ذلك في مسرحهم الجامعي الذي راح من خلال تقديمه لعروضٍ مسرحية ضد البرجوازية والرأسمالية يُبين اتجاهاته ومنحاه الجديد.

ومن أشهر ما قُدّم من مسرحيات في تلك الفترة على خشبة المسرح الجامعي بالعاصمة وقسنطينة ووهران نذكر:

- ✓ مسرحية (الانتهازية) لمحمد مرتاض والتي صوّرت أمراض الإدارة الجزائرية من انتهازية ومحسوبية.
- ✓ مسرحية (غرفتين ومطبخ) لعبد القادر السفيري والتي تناولت موضوع النزوح الريفي والهروب نحو المدينة.
- ✓ مسرحية (في انتظار نوفمبر جديد) والتي صوّرت العلاقة الجافة التي كانت قائمة بين الموظفين والعمال البسطاء ومسئوليهم، وغيرهم ...

ورغم أنَّ المسرح الجامعي قد تخطى عتبة البداية وتجاوز سلطة التكرار والتقليد، إلا أنَّ ثاني سلطة معنوية واجهها هي **سلطة الخطاب المسرحي**، أو ما يسمى بتضاريس لغة النص المسرحي، وهي تضاريس لا تتعلق "بالمكان الطبيعي أو الرمزي أو التخيلي داخل النص، لكنها تُعنى بالمكان الذي تشغله الكتابة في النص"[3]، أي جغرافيا الكتابة النصية باعتبارها طباعة مجسدة على الورق[4] وهذا التجسيد بالنسبة للنص المسرحي تابع في الواقع لممكنات متنوعة، إيقاعية وتأثيرية.

فقد سيطر نوعين من الخطاب اللغوي المسرحي على خشبة المسرح الجامعي منذ بداياته، اللغة الفصيحة واللهجة الدارجة العامية، ولم يكن للأولى تأثيرا كبيرا ولا دورا فعالا في تغيير وجهات النظر الملقاة حول مسرح الطلبة، بقدر ما كان للثانية من صدى واسع إذ تقبلَّ الجمهور الجامعي المسرحيات بالأسلوب البسيط والقريب من الفهم والاستيعاب، فراح الكتاب يستلهمون مواضيع سيناريوهاتهم من التراث الشعبي ومن الأحداث الجارية في المجتمع الجزائري، وكأنَّهم قد فهموا واستوعبوا مقولة أستاذ المسرح الفرنسي هنري كوردو Hinri Kordou حين خاطب طلبته من المسرحيين العرب والذين كان من بينهم الفنان المسرحي الجزائري القدير "ولد عبد الرحمن كاكي"، فقال: "اذهبوا وفتشوا في تراثكم عن مسرحكم وفنكم ولا تسمموا أنفسكم بمسرحنا الذي وصل الجمود والتصلب.."[5]؛ وهو ما ميزَّ فترة الثمانينات من القرن الماضي فقد واكبت موضوعات وقضايا العروض المسرحية الجامعية التطورات الاجتماعية والسياسية للمجتمع الجزائري بصفة عامة، "حيث بدأ يقف موقف المعارضة من الشعارات والأهداف التي نادت بها الفرق المسرحية أثناء الفترة السابقة (ستينات وسبعينات القرن الماضي)، وهذا ما جعل الأسلوب المسرحي الذي كان صالحًا لتحقيق الأهداف السابقة غير صالح لمواجهة التطورات الجديدة"[6]، حيث قامت العديد من الفرق المسرحية الجامعية بتنشيط التظاهرات الثقافية الكثيرة داخل أسوار الجامعة، وحتى خارجها، مستلهمة روح التجربة من روح الشعب الذي يبدو أنَّه بدأ يتقبل فكرة المسرح الجامعي، ولعلَّ مشاركات هؤلاء الفرق في عديدِ المنافسات والمهرجانات داخل الوطن وحتى خارجه وفوزهم بعدة جوائز دليل على فعالية مسرحهم الجامعي في الحياة الثقافية الجزائرية آنذاك.

ليدخل الوطن مرة ثانية مرحلة دموية قاسية قضت على الشعب قبل الفن، لذلك فإنَّ المسرح الجامعي في تسعينات القرن الماضي لم يكن في أوجّه حاله حال المسرح الحر أو الهاوي، لكنَّ التغييرات التي حدثت بعد ذلك لاسيما بعد انتهاء فترة العشرية السوداء، أظهرت أنَّ الأنساق الثقافية للفكر المسرحي قد تحررت من التبعية، بل وراحت تخلقُ أنساقًا ثقافية وفكرية جديدة مغايرة تماما لِما سبقها من نمطية مطلقة.

ذلك أنَّ المسرح هو إبداع والإبداع هو "خطاب الذات المفردة لا يثبت إمضاؤه الشخصي إلا باختلافه عن غيره لا أقل ولا أكثر، لا أقدم ولا أحدث، مختلف لأنه كذلك يكون، المفرد والمختلف هو بدءا ما يتحاشى الجماعي والمجمع عليه، بحثا عن عزلة يرتضيها ويقبل بأهوالها، هناك في حد العزلة يسمى ذاته ليسمي زمنه، له السراديب والصمت، لا يتنازل عنهما، إنهما بامتياز مكان حريته التي يعيد بها صياغة الذات والعالم. يخترق سيادة غيره عليه محتجا وخضوعا في آن ليسهر على حدود الخطر، ويضيء غير المضاء ويعبث بالولاء لما يناهض حريته"[7].

فقد استطاعت تجربة المسرح الجامعي بباتنة والتي كان ميلادها عام 2000م، أن تأخذ بعدًا آخرًا بانفتاحها على تجارب مسرحية مهمة وبتحقيقها لاستمرارية مسرحها وتألقه إلى يومنا هذا؛ إضافة إلى مسارح جامعية أنشئت بعد ذلك في عديد الجامعات مثل: (الجلفة، جيجل، تلمسان، سيدي بلعباس، أم البواقي، سعيدة، تيبازة وبجاية).

فقد عاش المؤلف المسرحي الجامعي قلقًا فكريا ووجوديا لا ينطفئ بالأجوبة التي يقدمها المجتمع والعرف والدين والعادات والتقاليد وكل ما لديه علاقة أو صلة بالمحيط الجامعي أو بخارجه المتمثل في الحياة والإنسان بصفة عامة، فتكون النتيجة إعادة طرح السؤال حول الواقع والسلطة والحياة واستمراريتها أو تقبل التبعية وتقليد ما سلف من أفكار ونماذج ورؤى، وبالتالي تجاوز كل السلطات التي ذكرناها سابقًا، سلطة التنميط والتقليد وتقديس الخطاب الغالب على المسارح الرسمية والحرة وحتى الهاوية وفكرة تقديس الأسماء والأفكار، فوصل الأمر في بعض الأحيان حد التمرد على الأنساق الثقافية والفكرية السابقة والاستهزاء بها، وبالتالي معاكستها ومعاكسة خطابها الفني واللغوي، وذلك من خلال التنويع في القضايا المتناولة في المسرح الجامعي الحالي المعاصر والتي تنوعت وتعددت، فراحت تخترق المجال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والديني وما إلى ذلك من مجالات حياتية متنوعة، ومن أبرز المواضيع والقضايا التي عُولجَت وقُدمت على ساحات المسارح الجامعية المعاصرة، موضوع الهجرة الغير شرعية أو ما يعرف بالحرقة،

البطالة، العنف ضد المرأة، التحرش اللفظي والجنسي، المخدرات وآثارها الضارة في الوسط الجامعي، محاربة الأفكار المتطرفة، الإرهاب، الآفات الاجتماعية بكل صفاتها، السحر والشعوذة، غياب الأهل، العنف الأسري، الطبقية ونبذ الفئة الأقلية في المجتمع الجزائري، وغير ذلك.

3. قراءة في مسرحية "الشوافة في حومتي": دراسة فنية موضوعاتية:

بالرغم من أنَّ الفنان المسرحي الجامعي المعاصر انطلق من فكرة كونه فنانا باحثا عن ذاته وعن روح عصره، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من محاورة نصوص الثقافة، وهو ما يبرر وجود نصوص لعروض مسرحية جامعية تعج بالتراث القديم والأسطوري وحتى الشعبي، دون نسيان الخطاب الديني والذي كان له أثر بالغ في كثيرٍ من العروض المسرحية الجامعية المعاصرة، ونحن من هذا الباب سنتطرق للحديث عن ذلك من خلال قراءة في مسرحية "الشوافة في حومتي"، والمقدمة من طرف الفرقة المسرحية الجامعية: "نادي صقور تيبازة"[8]، وهي مسرحية فكاهية اجتماعية تعكس الواقع الأليم للشباب الجامعي وغيره من الشباب، وعلاقته مع الله والدين، وجهلهم بإسلامهم أكثر من معرفتهم له، وذلك من خلال التطرق لموضوع السحر والشعوذة والسحرة والدجالين وتأثيرهم الكبير والبالغ في حياة الشباب المعاصر واللعب بأوتاره الخاصة، واحتيالهم عليه وتصديق هذا الأخير لهم.

وقد كانت المسرحية من تأليف جماعي للفرقة المسرحية الجامعية "نادي صقور تيبازة"، والتي أسسها ويترأسها الطالب عصام بوعمامة، إضافة إلى مجموعة من زملائه الذين ساهموا في كتابة نص المسرحية وإخراجها والتمثيل فيها أيضًا ومنهم: المخرج الرئيس لمعظم مسرحيات الفرقة الطالب فاتح فيلالي، الممثل الطالب عماد الدين بلالطية، الممثل الطالب سيف الدين ديدو ، الممثل الطالب عماد رحالي، الممثل الطالب نور الدين بن يعقوب وغيرهم من الطلبة.

قبل البدء في دراسة وتحليل المسرحية دراسة موضوعاتية فنية، أود أن أشير إلى أنَّ الفنان المسرحي المعاصر يمارس خروجه الفني بوعي وقناعة لأجل غاية تتمثل في إنارة الرأي العام، وشحذ حساسية المجتمع، ومع

إدراك الطالب الجامعي كون مكانته الحانية أصغر من الطاغية، وكون كلمته الفنية أقل صلابة من حديد وسلطة ولاته، فهو لا يمنع أبدا من تعرية كل السلطات والتمرد عليها، ومحاولة زعزعتها وإثارة الشك حولها وإن كانت لا ترقى إلى مستوى تطلعاته وآماله التي هي نبض المستقبل، ولعلَّ هذا ما أشار إليه المخرج المسرحي فاتح فيلالي حين جمع بين معرفة الطلبة الجامعيين للفروقات الحقيقية بين الحلال والحرام، وبين ممارستهم لهذا الأخير عنوة.

فعندما نتأمل المشاهد المسرحية الفنية وهي تُمثل على الركح، نجدها تتخذ طرقا عديدة للتعريف بالواقع المعاش داخل الوسط الجامعي من خلال تناوله لموضوعٍ أضحى منتشرًا وبدرجة جدّ كبيرة، داخل المجتمع الجزائري بل وراح يتغلغل حتى وصل إلى الحي الجامعي، فباتت أضراره تتكاثر وصار ينخرُّ في العلاقات الإنسانية ويدمرها أيَّما تدمير، حيث تناولت مسرحية " الشوافة في حومتي" التعريف بموضوع السحر والشعوذة، وطرق انتشاره والأسباب الدافعة لذلك، والذي يبدو أنَّه قد شغل حيزًا أوسع في مجال المسرح الجامعي، فراح يكرر طرح المفارقة في كثيرٍ من النصوص المكتوبة والمقدمة في المسرح بصفة عامة.

تُقدم المسرحية في مشهدها الأول حالة مزرية لشابة أنهت الدراسة الجامعية، ولم ترزق لا بالوظيفة ولا بالزوج، فصارت الحياة بالنسبة لها مملة لدرجة لا توصف، ولأنَّ اليأس يأخذ بيد الإنسان إلى التهلكة فقد كانت مشعوذة الحي "الشوافة" هي الحل الوحيد لحالتها حسبها، لذلك تلجأ إليها لإنقاذها من شبح العنوسة.

يبدأ الصراع الدرامي في المسرحية مع رحلة البحث عن العريس المناسب من شباب الحي في مشاهد درامية فكاهية تُصور حقيقة الوضع الاجتماعي المعاش داخل المجتمع الجزائري البسيط.

تظهر صورة الشابة البطلة (المحور المحرك لأحداث المسرحية) بمظهر المرأة الثائرة على وضعيتها، المتمردة على المجتمع وعاداته، التي تتنكر لتاريخ الصمت والاحتجاب المفروضين على المرأة العربية منذ أمد طويل، فتلجأ إلى كل الطرق لنيل مرادها عن طريق لا مشروع، وهو ما يشير إلى أنَّ المرأة العربية المعاصرة ترفض الاستعباد

والاستبداد وتطالب على غرار نساء العالم بمجتمع جديد تكون السلطة فيه معدومة، وهو ما يُخول لها ممارسة الحياة بالشكل الذي تبتغيه، حتى وإن كانت قد لجأت إلى طريقة جاهلة بعيدة عن الدين والمنطق لتحقيق مآربها.

هذه البطلة هي نفسها المرأة التي تحاول أن تلغي الصورة المألوفة للأنثى في الوطن العربي، لتكشف عن جوهرية نفسها التائقة للحب والمتعطشة للجنس فتلجأ إلى وسيلة "السحر" لجلب الحبيب ونيل النصيب، وهنا يظهر الخروج عن سلطة الاجتماعي خاصة من خلال طرح موضوع الحب والجنس والمرأة والسحر والشعوذة.

وعموما فإنَّ النصوص المسرحية المقدمة في المسرح الجامعي الحالي تمثلُ أنموذجا حادًا لمثل هذا الخروج الغير مألوف في الكتابات المسرحية الجامعية، حيث راح الكتاب يسخرون من النظرة الجماعية السائدة في الوطن العربي حول موضوع الحب كموضوع محرم يدخل ضمن الممنوعات، وهي نظرة ترسخ في نفسية الأنثى الخوف والرعب من الرجل رغم أن هذا الأخير صار صعب المنال في زمنٍ قاسٍ وصعبٍ مثل زمننا الحاضر.

لتتوالى المشاهد الدرامية في قالب فكاهي بحت، تتخلله مجموعة من اللقطات المعبّرة عن حيل المرأة وضعف الرجل وقلة حيلته أمام دهائها، فهي ترمي بكل حمولتها من أجل أن تطالب ضمنيا بحبٍ مزيف يتم في إطاره زواج شرعي يضمن لها أن تعيش آمنة مطمئنة من بعد حدوثه، فيعيش شباب الحي أو "الحومة" ما يشبه "الجحيم" لاسيما بعد درايتهم لموضوع الساحرة "الشوافة" القاطنة بحيّهم، لتبدأ الأحداث بعدها بالجريان في مجرى آخر، حيث يظهر مجموعة من الشباب الذين يقررون طرد "الشوافة" والشكوى بها لدى مصالح الشرطة، لكنَّ الخوف من ردّة فعلها يمنعهم من فعل ذلك، ليصبح الجميع بعدها رهن إشارتها خاصة حين تعلنُ عن قدرتها في تحقيق أماني وأحلام شباب الحي أو "الحومة"، فهي تجعل من المستحيل ممكنًا.

يواصل الممثلون على الركح مسيرة الخروج عن سلطة السائد والمعتاد والمألوف، من خلال تحديهم صمت المجتمع وتجاهله لجملة من الظواهر الغريبة التي باتت تغزوه وتستقر في باطنه، حتى بات الشباب ضائعا بين ثقافات مختلفة وتيارات فكرية متناقضة، فبقي محكوما بلا شعور؛ فهو الشاب خريج الجامعة الذي يقرأ كل المؤلفات الثورية والكلاسيكية وحتى المعاصرة، لكن على سبيل موضة الجدل الثقافي فقط، أما السلوك الواقعي فلا يختلف البتة عن سلوك أبي جهل وأترابه.

إنَّ العرض المسرحي "الشوافة في حومتي" نموذجٌ جيدٌ لتصوير واقع الشباب في المجتمع الجزائري، الذي يحرم أمورًا في العلن ليمارسها في الخفاء، فالكلّ يهتف بطرد الشوافة، لكنّ الكل أيضًا يتهافت إليها من أجل أن تحقق لهم أمانيهم ورغباتهم.

على هذا المنوال تجري بقية المشاهد في العرض المسرحي، حتى نهاية العرض أين تُكشفُ خبايا بيت الشوافة ليُكشف سر الشابة معه وأسرار الكثيرين من الذين آمنوا أنَّ الشوافة بإمكانها أن تُغير أقدارهم نحو الأفضل، فلا الشابة تنال نصيبها المنتظر ولا شباب الحي يكسبون شيئا من وعود الشوافة الحالمة، ولا هي نفسها تُبرهن عن قدراتها الخارقة في تغيير الأقدار وتحقيق الأماني والأحلام المستحيلة.

باختصار فإنَّ مسرحية "الشوافة في حومتي" والتي قدمت ولعدّة مرات في مجموعة من المسارح، تجاوزت سلطات متنوعة سيطرت لفترة طويلة على عقلية المجتمع الجزائري والذي لا يختلف البتة عن المجتمع العربي، بحيث تحررت من الأنساق التي نمطت ثقافة المجتمع بدءًا بموضوع المرأة، هذه المرأة التي لم تُغفَر لها خطيئتها في نهاية العرض والتي اعتبرها جميع من شارك في تقديمه سببًا رئيسًا فيما وصلَت إليه العلاقات بين أهالي الحي من تدهور وانحطاط.

فتاريخ المرأة في المجتمع العربي كعود الثقاب لا يولع إلا مرة واحدة؛ على عكس الرجل، هذا الامتياز الذي حظيَّ به والذي جسدته مسرحية "الشوافة في حومتي" بطريقة هزلية كوميدية، افتقرت إليه صورة المرأة في

نفس العرض المسرحي، الذي راح يكشفُ وبدّقة عن تفاصيل لقاء الشوافة بالبطلة الشابة العازمة على نيلِ قلبِ رجلٍ من أجل أن تكون امرأة متكاملة لا ينقصها شيئًا.

ولعلَّ هذا الأمر هو الذي جعلها رغم التطورات التاريخية التي خطت بها من الخيمة إلى المدرسة فالجامعة تأمن للعادة والعرف عند اتصالها بالرجل، وهو الأمر الذي أثار استغراب شباب الحي، فجاءت كل تعابيرهم ساخرة، بينما غضّوا الطرف حين راحوا يقرعون بابها الواحد تلو الآخر، متأملين أن تكون "الشوافة" المرأة قشة نجاة لهم ولتصليح وضعياتهم المعيشية.

إنَّ الهدف الرئيس من المسرحية كلّها، تمثلَ في التعبير عن الواقع الحقيقي الذي يعيشه شباب اليوم، في الحكي عن إحباطه ومسيرته المكللة بالفشل في غالب الحالات ـ إن لم نقل معظمها ـ ، في تصوير وضعية المرأة المصنفة كدرجةٍ ثانيةٍ من بعد الرجل، هذا الرجل الذي لا يزال يمارس سلطته الاستبدادية والقمعية للنيل من طموحاتها والقضاء على أمانيها من خلال تحطيم النموذج الجيد لها والتسويق لأسوء النماذج كنموذج المرأة "الشوافة"، والذي راح يكرس الصورة النمطية للمرأة في الوطن العربي.

4. خاتمة:

مما سبق، نخلص إلى أنَّ مواضيع المسرح الجامعي في الجزائر انطلقت في بداياتها مرتبطة بالمسارح الرسمية والحرة والهاوية، ومقلدة للعروض المقدمة على خشبات المسارح الأخرى؛ إذ ظلت وثيقة الصلة بكل ما له علاقة بأعمدة المسرح العالمي والعربي، لأكثر من قرنين من الزمن الماضي السحيق، لتتخلص من هذه التبعية مباشرة وتتحرر من القيود التي حرمتها من التألق والتميز على حسابها، إضافة إلى أنَّ التغييرات التي طرأت على المجتمع الجزائري وما حصل بداخله، أثرت كثيرًا في بلورة وجوده ونضج أعماله وبالتالي ساهمت في تحرره من خلال إعطاء فرصٍ لا منتهية للمؤلفين المسرحيين المنطوين ضمن المسرح الجامعي في كتابة سيناريوهات، تتأقلم وحكاية واقع الطلبة الجامعيين والمحيط الجامعي عامة.

وبالتالي تمثيلها من طرف النخبة الممثلة للمسرح الجامعي والتي راحت تبدع في كل مرة تقدم فيها عروضا تشابه حكاياها وواقعها، وتترجم أمانيها وأحلامها، وتعكس مآسيها ومعاناتها، علَّ وعسى يكون لمسرحهم الجامعي دورًا في تغيير الظروفِ المحيطة بهم نحو الأحسن والأفضل لهم، فلطالما كان المسرح عامة هو المرآة العاكسة لما يدور في المجتمع من قضايا وأحداث ومواضيع، يتناولها الكتاب المسرحيين بطريقة فنية مشوقة تعبر عن واقعهم، وكذلك كان المسرح الجامعي الوسيلة المباشرة لمعالجة قضايا الحي الجامعي وبناءه بناءً صحيحًا، وإرساء قيم صحيحة ونبيلة من خلاله وسط المحيط الجامعي بمختلف فئاته المهنية والعُمرية، وهو ما يؤكد مقولة الكاتب والفنان الإنجليزي وليام شكسبير William Shakespeare حين قال: "أعطني مسرحًا أعطيك شعبًا مثقفًا وعظيمًا".

5. الهوامش:

[1] مخلوف بوكروح، المسرح والجمهور" دراسة في سوسيولوجية المسرج الجزائري ومصادره"، الجزائر، د ط، 2002م، ص 25.

[2] محسن النصّار، المسرح الجزائري بين الأمس واليوم، نقلا عن الموقع الإلكتروني: http:///C:/Users/HP/Desktop، تاريخ الزيارة: 2021/12/17م.

[3] ميخائيل عيد،أسئلة الحداثة بين الواقع والشطح، منشورات اتحاد الكتب العرب،دمشق،سوريا، 1998م،ص 47.

[4] مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبولتيكا النص الأدبي (تضاريس الفضاء الأدبي)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص123.

[5] تأليف جماعي، تجربة مسرحية عربية، مجلة المعرفة، (العدد مخصص حول المسرح)، ع34، سوريا، 1964م، ص267.

[6] فرحان بلبل، التجريب على تحديث المأثور الشعبي، مجلة الحياة المسرحية، ع: 42، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1995م، ص 49.

[7] مُحَمَّد بنيس، كتابة المحو، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م، ص:146.

[8] المسرح الجامعي لتيبازة والمسمى بـ : "نادي صقور تيبازة"، تأسس النادي بتاريخ 16 أفريل 2016م، بعد أن كان لفكرة لمدة سنتين منذ 2014م، و يعد أول نادي علمي ثقافي بالمركز الجامعي بتيبازة، وذلك برئاسة الطالب الموهوب عصام بوعمامة، والذي ساهم في كتابة وإخراج وتمثيل مسرحيات عديدة، قدّمتها الفرقة المسرحية، والتي بلغ عددها لحد الآن (23) عملا فنيا متنوعا بين المسرحية والملحة والمونولوج والمونودراما، من أشهرها: ملحمة "أرض الأحرار"، مسرحية "الكواغيط"، مونولوج "مان شو"، مسرحية "الشوافة في حومتي" ، مسرحية "بازار قوتالنت"، مسرحية "محكمة الجنايات الموسم الأول"، مسرحية "الفيلم الفاشل"، مسرحية "شيخ وعجوزة"، مسرحية "محكمة الجنايات الجزء الثاني" / (جناية القتل العمدي) مونولوج "جزا يرس"، ملحمة " الجزائر بلادنا"، ملحمة "الطالب عبد الرحمان"، مسرحية "صدى الأيام "، مسرحية "الصوت الذهبي"، مسرحية "سبيطار المهابل"، مسرحية "الشيخ والتكنولوجيا"، مسرحية "بازار أيدل"، وغيرها من الأعمال.. وقد تحصل مؤسس ورئيس المسرح الجامعي لجامعة تيبازة "نادي صقور تيبازة" الطالب عصام بوعمامة عن الفرقة المسرحية التي قدمت مسرحية "العرض الأخير" على الجائزة الأولى لأحسن سينوغرافيا في مهرجان المسرح الجامعي بالوطن العربي المقام بالمملكة الأردنية عام 2017م، كما تم تكريمه من قبل وزير التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر نظرًا لجهوده المبذولة في مجال المسرح الجامعي، والذي يريد أن يرتقي به إلى الأعلى والأحسن والأفضل.